

شرح أصول الكافي

[337] (وقلة التبرص) يعني قلة التوقف في الانتقال من المقدمات إلى المطالب كما هو شأن الذكي الفهم وفي سبيل المجاز في حال الجواز لأن التوقف والاستبطاء في وسط الصراط مع توهم الخوف بهجوم الأوباش واللئام وزوال النور بصرصر الرياح واستيلاء الظلام بعيد عن الحزم والاحتياط نعم ما قيل: " من سلك سبيل الاحتياط فليس بناكب عن الصراط " هذا حال من تفكر. وأما من لم يتفكر في دقائق المصنوعات وعجائب المخلوقات ولم ينتقل منها إلى مقام التوحيد وصفات الصانع وكماله وكذا لم يفكر في مبادئ المطالب العالية والمقاصد النظرية ولم يتحرك إليها فهو مثل الحشرات لا يرى أن له وراءه بدنه كمالات أخرى فكان أعظم محبوباته بقاء جسده بهذه الحياة الزائلة، وأهم مهروباته هو نقصانها وموتها فهو حي ظاهراً وميت باطناً وماش في ظلمات شديدة بعضها فوق بعض، حائراً بائساً تائها وهكذا حاله إلى أن يموت فإذا مات وقع في ظلمة دائمة وحسرة ثابتة ووحشة باقية أبداً. مهروباته هو نقصانها وموتها فهو حي ظاهراً وميت باطناً وماش في ظلمات شديدة بعضها فوق بعض، حائراً بائساً تائها وهكذا حاله إلى أن يموت فإذا مات وقع في ظلمة دائمة وحسرة ثابتة ووحشة باقية أبداً. (هذا آخر كتاب العقل (1) والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وسلم). اللهم اجعلنا من الذين تاهت أرواحهم في مطالعة الملك والملكوت. وكشفت لهم بنور العقل والفهم حجب العظمة والجبروت. وخاضوا بغوص التفكير في بحر اليقين، وتنتزهوا بعلو الهمة في زهر رياض المتقين برحمتك يا أرحم الراحمين. * * *

1 - انظر - وفقك الله لمرضاته - إلى كثرة الأحاديث الواردة من طرقنا في العقل ومدحه مع تأييده بالقرآن الكريم ثم انظر إلى كتب محدثي أهل السنة والجماعة ونقدتهم فقد عدوا من الموضوعات جميع الأحاديث في العقل قال المقدسي في كتاب الموضوعات " ومنها أحاديث العقل كلها كذب ". وأقول: العقل يدل على عدم جواز متابعة الفاضل للمفضول والعالم للجاهل ولعلمهم لذلك أنكروا صحة أحاديث العقل، وقلنا في غير هذا المقام إن رواية خلق العقل وأنه قال له: أقبل فاقبل إلى آخره، رواه أبو نعيم والطبراني في المعجم الكبير وعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد. (ش) (*)